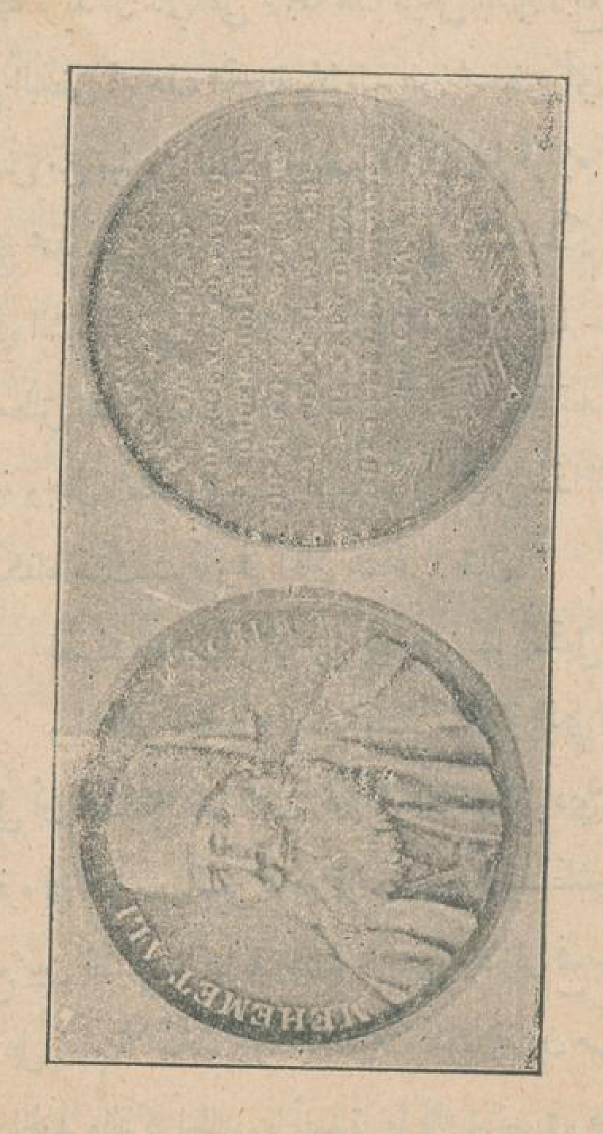
الجزء السادس



السنة الثالثة

١٥ يونيو سنة ١٩٠٢



ساكن الجنان محمد علي باشا

(وبجانبه النيشان الذي أهدي اليه من حكومة الهند)

القسم الأدبي

محمد علي باشا

« نظرة عامة في صفاته وأحوال حكومته »

لسنا نريد أن نأتي على ترجمة هذا الرجل الذي أجمع الكثيرون على تسميته عظيما وخالفهم البعض في هذه التسمية ولا التعرض لدحض رأي فريق أو تعضيد الآخر فان ذلك ليس من مباحث المفتاح وموضوعاته كما يعلم قراؤه الكرام بل حسبنا ان نقول في تاريخ محمد علي بعد مضي قرن كامل على توليه الحكم في مصر والاحتفال بعيده المئيني في الشهر الماضي انه كان ابن شيخ للخفراء في بلدة حقيرة فصار بدهائه وشجاعته حاكما مطلق التصرف على بلاد واسعة واقطار شاسعة تعد في الطبقة الاولى من حيث الخصوبة وجمال الطقس وحسن الموقع وان لم يكن لهذا الرجل من المميزات غير هذه المزية لكفاه بذلك شرفاً وفخراً فان الشاعر يقول

لعمرك ما الانسان الا ابن يومه   على ماتجلى يومه لاابن امسه
وما الفخر بالعظم الرميم وانما   فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

على أن محمد علي قد أثبت للملأ بأن له من المبادئ السامية والأفكار العالية ما يندر توفره في مثله من الذين لم يتربوا ولم يتعلموا وقد عاشوا في وسط كله ظلم وظلام وقد جمع بين فضيلتي الشجاعة واصالة الرأي و بالاولى قمع خصومه واعداءه وتولى الملك وقبض على زمام الاحكام و بالثانية عرف كيف يصون مركزه و ينهض ببلاده ويحفظ له الاثر الحميد والذكر الخالد وما أصدق ما قاله المتنبي في هذا المعنى

الرأي قبل شجاعة الشجعان   هو أول وهي المحل الثاني

فاذا هما اجتمعا بنفس حرة نالت من العلياءِ كل مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه بالرأي قبل تطاعن الاقران
لولا العقول لكان ادنى ضيغم ادنى الى شرف من الانسان

ولا شك ان كل مخلص نزيه يعترف معنا بهذه الحقيقة الثابتة لان الرجل الذي يشهد التاريخ انه أتى الى مصر غريباً لا نصير له ولا معين غير قوته الهائلة ونفسه الكبيرة وقد تمكن من التغلب على امراء المماليك والفتك بهم في أبان مجدهم وجلالهم بعد ان قضوا فى مصر السنين الطوال وا كتسبوا حق الوطنية وامتد نفوذهم بها الى الحد الذي لا يجهله احد الذي يفعل كل هذا لابد وان يكون قد امتاز بشيءٍ آخر غير الشجاعة الجسمية كالذكاء والدهاء وعلو الهمة وسمو المدارك اذا صح ان الكثرة تغلب الشجاعة وان القلة كانت في جانب محمد علي والكثرة في جانب اعدائه وخصومه الكثيرين قلنا ان بهذه المدارك العالية تمكن محمد علي من ادخال اصلاحات كثيرة وانقلابات خطيره في نظام حكومته و بلاده • نعم اننا لا نريد ان نتغالى ونبالغ في القول فندعي انه نظم حكومة دستورية فان الدستور في عصره و بعد وفاته بمدة ليست بقصيرة كان لم يزل مجهولا بمصر وكانت حكومة محمد علي لم تزل ملطخة بآثار الظلم القديم ولكن اللوم في ذلك ليس على محمد علي نفسه لان الخروج من الظلم المحض والفوضى المستحكمة الى النور الباهر والعدل الشامل ليس من الامور الممكنه والميسورة فضلاً عن كونه ربما كان مضراً ايضاً والطفره محال كما يقولون ولكن الذي يمدح عليه محمد علي بكل شفة ولسان هو انه خطا بامته خطوة كبيرة في سبيل التقدم مع عدم توفر كل معدات النهوض والارتقاءِ لديه وحراجة موقفه فانه وهو يجهل القرأة والكتابة ادرك ان لا حياة للامم الا بالعلم ولا ارتقاء للشعوب الا بنشر لواء التربية ورفع منار التهذيب فكان يرسل الوفود الى البلاد المتمدنة لتعلم العلوم العصرية حتى اذا نالوا منها حظاً وافراً وجانباً

كبيرًا عادوا الى بلادهم فانشأوا المدارس و بثوا انوار المعارف في طول البلاد وعرضها وقد كان الاهالي وقتئذ يجهلون مزايا العلم وفوائد التعليم ولذلك كان محمد علي يبذل جهد المستطيع في الزامهم بتعليم أولادهم رغم أنفهم فكان اذا جمع الارسالية المصرية من ابناء البلاد لارسالها الى البلاد الاوربية يخرج اهل الطلبة وراء أولادهم نادبين باكين كما يخرجون الآن وراء الذين تطلبهم الحكومة للخدمة العسكرية ومن هؤلاء الطلبة نبغ اعاظم رجال مصر وعلمائها الاعلام مثل المرحوم على باشا مبارك واسماعيل باشا الفلكي ورفاعه بك وغيرهم من الذين افادوا البلاد بنفحات علومهم ومعارفهم وعززوا شأنها ورفعوا منزلتها في أعين الاجانب وكلهم من تلامذة محمد علي وله الفضل الاول عليهم في تربيتهم وتعليمهم

رأى محمد علي بعد ذلك ان العلم وحده لاينفع ولا يفيد وانه لابد وان يقرن العلم بالعمل ثم رأى ان هذه البلاد زراعية محضة ولا حياة لها الا باصلاح تربتها وانماء مزروعاتها ولا وسيلة لذلك الا بانشاء الجسوروالقناطر وحفر الترع فقام بذلك اعظم قيام وان لم يكن له في هذا القطر من المشروعات الزراعية الكبرى غير انشاء القناطر الخيرية لكفاه بذلك فخراً على فخر .

رأى هذا المصلح الكبير أيضًا ان الزراعة وحدها لاتكفي وان الصناعة لازمة على كل حال والا كانت محصولات الارض عقيمة النفع عديمة الجدوى فأسس من المعامل والمصانع الكبيرة في مصر ماجعلها في غنى عن الاحتياج الى اغلب المصنوعات الاجنبية و بالجمله فان محمد على احيا في مصر كل دعائم التقدم ومعالم الحضارة من علوم وفنون وصنائع وزراعة وغيرها وهذا فوق ما يطلب من امي مثله يجهل القرأة والكتابة نعم انا لا ننكر انه استعان في اغلب اعماله بآراء كثيرين من علماء الافرنج وفضلائهم و بعض اعوانه ومشيريه ولكننا لا نخال احدًا ينكر أيضًا انه لو لم تكن له ارادة ثابتة واستعداد طبيعي ورغبة قوية وافكار سديدة لما نهض ببلاده هذه النهضة الكبرى واستعان

بهولاء الفضلاء على نفع بلاده وهذا كل ما يطلب من ملك محب لرعيته ووطنه مثل محمد علي ·

ومما يزيد في تمجيد اسم محمد علي واعلاء شأنه ويوجب له الفخر العظيم ان مصر اليوم خالية من معالم الحضارة التي كانت متمتعة بها في ايام هذا المصلح بعد مضي مائة عام فليس فيها شيء من الورش والفاوريقات والمعامل الكبيرة ولم يتم فيها مشروع عظيم مثل انشاء القناطر الخيرية مثلامع ان وسائل التقدم ومعدات النجاح ميسورة الان اكثر من ذي قبل . ولكن هذا ليس معناه ان حكومة اليوم غير قادرة على اتيان هذه الاعمال او انه ليس الان بين ظهرانينا رجل مثل محمد علي بل ان السبب الحقيقي في ذلك هو مايعلمه الكل من ان الاحكام في مصر الان ليست بيد ابنائها الغيورين على مصلحتها وقد اشتد فيها النفوذ الاجنبي الى حد لم يكن يخطر على البال وليس من مصلحة الاجنبي وصول الامة الى درجة تجعلها في غنى عنه وتقلص ظل نفوذه وسيطرته وشتان بين الحالتين .هذا فيما يختص بحكومة محمد علي واعمال عصره . أما صفاته الشخصية غير ما ذكرناه منها فانه على جهله بالعلوم والمعارف العصرية كان كثير الميل الى الاستفادة ومباحثة العلماء واكرامهم وقد شهد الذين كانوا حوله وفي معيته انه كان كثير النباهة سديد الرأي وكانت اغلب آرائه وافكاره تصيب المرمى حتى في المسائل الخطيرة الهامة

ومن صفاته الممدوحة أيضاً انه كان ميالاً الى تعضيد الوطني وابن البلاد وتفضيله على الاجنبي والدخيل في كل شيء وهو مبدأ سامي شريف لا يتمسك به الا الملك العادل الحكيم · روي انه اراد مرة ان يوصي على عمل وتوريد بعض البنادق فتقدم احد الاجانب وقدم عطاء واقتدى به وطني فقدم عطاء آخر فقبل عطاء الوطني ورفض طلب الاجنبي بتاتاً مع ان بنادقه امتن وصناعته ادق واثمانه في منتهى المهاودة الى درجة لايستطيع الوطني ان يجاريه فيها ولما سئل محمد علي عن سبب ذلك قال اني انما فضلت المصنوعات الوطنية مع غلو ثمنها وعدم متانتها لان المال الذي نعطيه للوطني نستردده منه

ثانياً فنأخذه كضرائب وعوائد ونحوها واما المال الذي يأخذه منا الاجنبي فلا يرجع الينا ولأني اذا فضلت المصنوعات الاجنبية على مصنوعات بلادنا اضعفت همة الوطني منا فيغلق في الحال ورشته ويصبح في حاجة الى الاجنبي على الدوام وفي ذلك كل الغبن والخسارة لنا و بالعكس اذا نشطناه ندفع فيه روح الغيرة فيسعى في اتقان اعماله ومصنوعاته اه

فاين هذه المبادي الحرة والاميال الشريفة الطاهرة مما يفعله الكثيرون الان من الذين يتهافتون على كل شيء اجنبي ويرمون مصنوعاتنا الوطنية بالنقص مع ان اصلاحها انما يتوقف علي تعضيد صانعيها .

هذه على سبيل الاجمال والاختصار ملخص اعمال محمد علي وسيرته الطيبة و يسرنا ان الامة لم تنكر فضله ولم تنس جميله حيث اقامت له اعظم التماثيل في ساحاتها العمومية وعولت علي تأسيس مدرسة صناعية كبرى لتخليد ذكره وقد احتفلت بعيده المئيني اعظم احتفال ولاشك عندنا ان هذا كله دليل اليقظة والحياة نسأل الله ان يكثر من امثال هذا المصلح العظيم وان يلهم امتنا المحبوبة على الدوام ما فيه اصلاح حالها ورفع شأنها

ولهذه المناسبة ننشرهنا بعض ابيات نظمها منشئ هذه المجلة ورفعها الى سمو الخديوي المعظم في صدر رواية نابليون في مصر التي اهداها لسموه وقد ختمها بذكر دخول محمد علي باشا الى مصر بعد انجلاء العساكر الفرنساوية عنها تحت قيادة نابليون بونابرت قال مخاطبا سمو الخديوي المعظم :

يحيا امير القطر عباس الذي ... عم البلاد مآثراً ومفاخرا
بث المعارف في البلاد فاينعت ... وجنى أولو الاداب منها الازهر
فبعدله وبحزمه وبعزمه ... عم الفلاح ديار مصر بلا مرا
مولاي هذي تحفة وطنية ... تروي لكم عن مصر ناماقدجرى
ألفتها موضوعة في صورة ... حازت من الابداع حظاً اوفرا

رصعتها درًّا نضيداً اذ حوت ... ما كان من تلك الوقائع اشهرا
لا سيما فى عصر نابليون من ... جاء البلاد بجيشه مستكبراً
لكنه لم يبق فيها مدة ... حتى أتاها جدكم ليث الشرى
ذاك الذي بشجاعة وبحكمة ... احيا البلاد وشاد ما قد دمرا
ذاك الهمام الباسل الشهم الذي ... جلت محاسن فضله بين الورى
هذا ملخص قصتي يا سيدي ... اهديكها لتنال فخراً اكبرا
لازلت يارب العلا فينا على ... مر الزمان معظما وموقرا
ما قال توفيق يردد داعياً ... يحيا الخديوي راقياً أعلى الذرى

المناظرة والمراسلة

الفونس الثالث عشر

ملك اسبانيا ووالدته

حضرة افاضل صاحب المفتاح الاغر

سمع القراء في هذه الايام الاخيرة من التلغرافات العمومية والجرائد السيارة بالحفلات العظيمة التي تقام في مدريد عاصمة بلاد الاسبان لمناسبة لتتويج هذا الملك الصغير فرأيت ان الخص ترجمة حياته لقراء المفتاح الكرام من مقالة كانت كتبتها عنه احدى المجلات الافرنجية فاقول ·

* * *

ما زالت اسبانيا في عصرنا الحاضر رغماً عما احاق بها من النوازل الجسام وما حل بها من البلايا والارزاء ذات عظمة واعتداد بالنفس كبيرين وما زال الاسبانيون ذوي كبر واعجاب يندر وجوده عند غيرهم من الاوروباويين



﴿ جامع محمد علي بالقلعة ﴾

« وفيه ضريحه الخاص »

(الذي اقيم به احتفال تذكاره في الشهر الماضي)

وهذه الصفات المتمكنة منهم ناتجة عما كانت عليه بلادهم من العز الباذخ والشرف الأثيل وما لها في صفحات التاريخ من الذكر المجيد والاعمال العظيمة

وأول ما يمر على الخاطر ما قامت به هذه الامة الكريمة من الخدم الجليلة للانسانية باكتشافها اميركا منبعث انوار التمدن ومنبع العلوم والعرفان في هذه الايام

وقد مضى وقت كانت فيه اسبانيا ذات الكلمة النافذة والقول الذي لا يرد والسلطة التي لاتنازع حينما كانت تحكمها « العائلة النمساوية »

ومن ذا الذي يكون له اقل المام بالحوادث الماضية ولا يرن في اذنيه اسم ذلك الملك الكبير والبطل العظيم الامبراطور شارلكان (شارل الخامس) ذلك الملك الذي عمت سلطته المانيا وايطاليا وهولاندا او نصف أوروبا تقريباً وطغت على غيرها من البلاد فبلغت جزءا كبيراً من شواطىء افريقيا و بلاد المكسيك و بيرو والبرازيل والجزائر التي لا تحصى حتى صح قول القائل ان الشمس لم تكن تغرب عن ممالكه

وكان لبلاط اسبانيا قانون صارم يجب على الملك والملكة وغيرهما اتباعه دون اقل تبديل أو تحوير وعدم الاخلال منه بشيء حتى لو ادي ذلك الى فقدان الحياة وذلك طبقاً للتقاليد القديمة ويجب على الملك ان لا يتنازل عن قيد شبر من امتيازاته أو يحيد عن ذلك القانون ولو كان في خطر الموت . من ذلك ان الملك فيليب الثالث كان في غرفة بها موقد مشتعل فتصاعد الكربون وخنقه وهو يصرخ طالباً مد يد المساعدة اليه وتخليصه من الموت الزؤام وكان الضابط الذي يجوز له وحده ان يمس الموقد غائباً عن القصر فخرجوا في أثره وجدوا في البحث عليه عاهم يجدوه فلم يقابلوه الا بعد ان قضى الملك نحبه شهيد ذلك القانون القاسي

تلك هي الصورة التي تمثل عظمة الاسبانيين وكبرياءهم واعتبارهم ملوكهم في طبقة مقدسة اعلى من طبقات الآدميين

على انه لا ابعد من اسبانيا الحديثة في الشبه عن اسبانيا القديمة فان اسبانيا اليوم

ليست الا ثلثا شبه جزيرة البيريا وتلك المستعمرات الزاهية البهية انسلخت عنها واحدة وراء واحدة واصبح بعضها مستقلا ودخل البعض الآخر في حيازة دول أخرى شابة قوية وليس الملك الان كما كان أولاً بل اصبحت الحكومة دستورية شوروية ولكنها عرضة لاخطار كثيرة ولا نتقاض الشعب عليها في كل لحظة

والعائلة المالكة الان ليست من ذرية شارلكان فان نسل ذلك الملك العظيم انقطع من جهة الذكور وقضت ارادة الملك لويس الرابع عشر بتعيين احد آل بور بون ملكا لاسبانيا منذ آخر القرن السابع عشر

والملك الان على هذه البلاد هو جلالة الملك الفونس الثالث عشر الذي احتفل ببلوغه سن الرشد في هذا الشهر وكان قبلا تحت وصاية جلالة والدته الملكة ماري كريستينا

ونودي بالفونس ملكاً لاسبانيا منذ ولادته ولا يذكر في التاريخ ملك ابتدأ حكمه مع ابتداء الحياة الا يوحنا الاول ملك فرنسا في سنة ١٣١٦ والذي لم يعش الا خمسة أيام

ولا يمكن لقلم كاتب ان يصف السرور العظيم الذي شمل اسبانيا بولادة هذا الملك الصغير فانه وطد اركان العائلة المالكة بايجاد وارث للعرش وابعد اخطارا كثيرة كانت تحيق بالمملكة لولا ولادته

وهذه الخدمة الجليلة التي قام بها الطفل الفونس بلا قصد هي ان وجوده منع الكثيرين من المنتمين للدون كارلوس المطالب بالعرش من التحفز والقيام للثورة وهذه الخدمة هي الوحيدة التي كانت تنتظر منه فانه بقي الى آخر السنة السادسة عشر من عمره وهو لا يجوز له التداخل في شؤون المملكة وأحكامها

***

أما جلالة الملكة ماري كريستينا فان موت زوجها وهي في الثامنة والعشرين من عمرها انزل عليها حملاً ثقيلا وجب عليها القيام باعبائه فانها أصبحت مكلفة بتربية

ابنها الملك وبالنظر في شؤون المملكة بطريق الوصاية عليه الى ان يبلغ سن الرشد فامسكت بدفة السياسة بيد من حديد وادارتها بحكمة المحنك الخبير على ما بها من التعقيد والاشكال ورغماً عن القلاقل والمشاكل والاحزاب التي اشتهرت بها الامة الاسبانية قامت بما عهد اليها قياماً يجعلها النابغة بين الملكات والفريدة في عقد بنات حواء

وجلالتها تبلغ الآن الرابعة والاربعين من سنيها ذات وجه نحيف يعلوه شعر كستنائي اللون تخالطه بعض الخطوط المفضضة وعيناها السوداوان جذابتان للقلوب بما يظهر فيهما من أدلة اللطف وما يتوقد بهما من نور الذكاء ومنظر وجهها يميل اليها القلوب ولو انها ليست مفرطة الجمال

وقد أظهرت منذ ترملها انها ذات عقل راجح لا يهتم للسفاسف والصغائر من الامور باعراضها عن الزينة الفارغة والتبرج الكاذب واتخاذها في ملبسها البساطة التامة التي تستحق عليها كل ثناء واطراء

ويعتبرها كثيرون من رعاياها اجنبية عنهم فانها نمساوية المولد وابوها الارشيدوق شارل فرديناند وأمها الارشيدوقة اليصابات ولو ان هذا الفكر يزول شيئاً فشيئاً ولكنه مازال للاسف منتشراً انتشاراً كبيراً

وقضت الملكة مع زوجها خمسة سنوات كانت فيها المثال الحقيقي للزوجة والام معتزلة عن الاعمال السياسية تمام الاعتزال الى ان كان الخامس والعشرون من شهر نوفمبر سنة ١٨٨٥ حيث أعلن توليها مهام المملكة باسم ابنتها الكبرى أو الابن الذي يمكن ان يكون في احشائها فقامت حينئذ وصممت أن تسير في هذا السبيل بما يمكنها من الاجتهاد والعزيمة وأخذت في مباشرة ما عهد اليها فامكنها ان تتخلص بحكمتها من كثير من الازمة الشديدة وعرفت كيف تسير بين كل هذه الاحزاب المتباينة الغايات والاغراض

وهي تميل بالطبع الى الحزب الذي استدعى زوجها الفونس الثاني عشر من النفي

واقامه على عرش اسبانيا في سنة ١٨٧٤ ولكنها التزمت في كثير من الاحيان ان تسير على اهواء الشعب لاحترامها المبدأ الدستوري واهتمامها الشديد بتأييد الشورى وكانت لا تبيح لنفسها عملا الا ما يوحيه اليها ما جبلت عليه من الشفقة والرحمة وفي هذه الحالة كان فكرها يغلب على أفكار وزرائها



﴿ جلالة ملكة اسبانيا ﴾

ولما رأت ما هي عليه خزينة الدولة من الفقر والعسر الشديدين لم تقبل من الحكومة راتبًا بل انها كانت تدفع لها كل سنة مليونًا من جيبها الخاص معتبرة نفسها سعيدة اذ تخفف الاحمال المالية الثقيلة الملقاة على كواهل رعاياها

وتقيم جلالتها مع اطفالها عشرة اشهر في السنة في القصر الملوكي في مدريد وهي لا تجد في هذا القصر الذي هو أشبه بالحصون منه بقصور الملوك سروراً وانشراحاً . فهو كتلة هائلة من الرخام والجرانيت يطل على أرض قفراء جرداء لا أثر فيها للنبات ومنظره يثير في النفس شجونًا وأحزانًا على ماض انقضى وعن اضاعته كوارث الحوادث وعوادي الايام وغرفه ومماشيه ساكنة هادئة لا يشوبها سوى وقع اقدام الحراس فيها بين الموبيليات الحريرية المزركشة بالذهب والفضة وكأن اشباح ملوك اسبانيا وارواحهم تأتي في الليل تتراوح في هذه الاماكن المهجورة

ولكن الملكة ماري كريستينا ترغب في الحياة الهادئة . ترغب في الحياة المفرحة الطبيعية بعيدة عن هذه التذكارات القديمة المؤلمة . ترغب أن تكون في محل لا تدخله الهموم ولا يظهر فيه الا ثغر الطبيعة البسام . تود ان تذهب الى محل ترتفع فيه روحها الى الاعالي فتسبح مع الملائكة وتعاشر الارواح وأين تجد شبه السعادة التي تتمناها ؟ أتجدها في قصر الاسكوريال حيث يرتاح ملوك اسبانيا راحتهم الابدية وينامون نومهم الاخير الذي لاقيام بعده ؟ أم تجدها في البرادو وهو محل للاستراحة في أويقات الصيد وفي ذلك المحل مات زوجها الفونس الثاني عشر ؟ لا تجدها في هذا ولا في ذاك ولا تجدها في قصر الدفونسو ولا في مدينة الجرانجا مع انها بلدة لطيفة تشبه مدينة فرساليا ذات حدائق ناضرة غناء ومياه صافية كالسلسبيل بل ولا في غيرها فان لكل هذه المحلات تذكاراً مؤلمًا

ولكن للملكة قصر تفضله على كل ما سواه لانها تجد فيه بعض الراحة وترى نفسها كأنها في منزلها الحقيقي وهذا القصر هو قصر ميرامار في بلدة سان سيباستين

ويزين واجهة هذا القصر الذي بني على ذوقها شعارها الخصوصي وعلائم الشرف المختصة بها ولا شك ان المعيشة به تظهر اكثر ابتساماً والحياة تظهر اقل كدراً وعبوسة لان هذا المحل قروي جميل يمتد النظر منه الى بعد شاسع وامامه الاشجار الباسقة والغياض الجميلة والخضرة البديعة التي تقر النواظر وتشرح الخاطر

وسواء كانت العائلة المالكة في مدريد أو في سان سيباستيان فان طباع جلالة الملكة ماري كريستينا واحدة لا تتغير فهي تستيقظ من نومها الساعة السابعة وتقضي ساعة واحدة في التزين ولبس اثوابها ثم تنظر في الخطابات الواردة اليها وتقابل وزراءها وكبار رجال البلاط الى الظهر وفي العصر تخرج مع اولادها ثم ترجع تواً الى الشغل وفي بعض الاحيان تضرب على الموسيقي بعد تناول طعام الافطار الذي لا يشاركها فيه الا الاميرة ايزابل عمة ابنها الملك وشقيقة زوجها الفونس الثاني عشر وبعض المقربات من نساء بلاطها وفي الساعة الحادية عشر مساء تدخل الى مخدعها للنوم ونادراً اذا تأخرت عن هذا الميعاد لانه منذ ترملها لم تذهب الآ الى الاوبرا او الى الكوميديا وذلك في حالات استثنائية لانه أحلى شيء عندها هي المعيشة العائلية

حبيب حنين باسيوط (البقية تأتي)

العادة

(تابع ما قبله)

بقلم العلامة الامريكاني الشهير المستر تود (١)

ثانياً ـ عود نفسك على العمل بلا ملل

اذا كنت تتوهم انك ممن منّ الله تعالى عليهم بالذكاء المفرط والحذق الباهر وان الامور قد القت اليك مقاليدها عفواً فخير لك الا تغش نفسك بالمبادرة الى تصديق

(١) معربة بقلم الكاتب الاديب ميخائيل افندي عبد الملك

وهمك ولافتتان بما زينته لك النفس الامارة بالسوء بل فرض عليك لازب ان تقدح زناد الفكر مبتدئاً في العمل حتى تحصل أجرة ما عملته عن استحقاق لان الاجتهاد في الاعمال الصغيرة التافهة عنوان النجاح في الامور العظيمة الاهمية ولا يدهش الانسان اكثر من التأمل في نتائج الاجتهاد وما يأتيه المجتهدون فان من يسرح الطرف هنيهة فيما كتبه الاقدمون من المؤلفات الضخمة يكاد يحار عقله وتأخذه الدهشة مما يري والحال ان كلمة الاجتهاد هي مفتاح ذلك السر كله ومن يمشي كل يوم ثلاث ساعات متواليات لا تمر عليه سبع سنوات الا وقد طاف حول الارض بأسرها وليس من عادة أشد ضرراً ولا اقبح من الكسل للتلميذ يسهل التعود عليه ويعسر التخلي عنه

دخولك من باب الهوى ان اردته يسير ولكن الخروج عسير

واذا تمكنت تلك العادة من النفس افقدت صاحبها الاحساس والشعور فيصبح مكبلا بقيودها متمثلا بالمثل الهندي القائل (المشي خير من الجري والوقوف خير من المشي والقعود خير من الوقوف وخير من الكل الرقاد) واكسل الناس احقهم بالشفقة والرحمة واذا صح ما قيل ان في الجنون لذة لايدركها الا المجانين ففي الكسل شقاوة وبلاء لا يدركهما الا الكسول واعرف كثيرين على جانب عظيم من الحذق الفطري وجودة القريحة ولكنهم كسالى لا يعبأون بأمر ما وبالعكس ومثل هؤلاء تسهل معرفتهم لدى العقلاء ومن يهمل واجباً فرض عليه اداؤه او صناعة وكل اليه امرها فسيأتي وقت يتذكر مقدار جهله ويندب ايام افراطه من حيث لا ينفع الندم ولو عقل لرحم نفسه من هول المستقبل وذل الاجل ومما لا يحتاج الى بيان ان ابواب الفراغ مفتوحة امام المجتهد لانه ما دام قد سن لنفسه قانوناً يسير على موجبه فمتي اتم عمله كان باقي وقته فراغا بخلاف الكسلان كلما القيت اليه ازمة عمل سوف فيبقى العمل نصب عينه يربكه ويقلقه وذكروا انه لما مات (اسكندرويج) امير ابيروس اراد الترك ان يخرجوا عظامه ليلبس كل فرد منهم عظمة منها قريباً من قلبه لتكسبه شيئاً من الشجاعة التي

اتصف بها ذلك البطل وشاهدوها بعيونهم ايام اقتحم الاهوال وجاء بعظائم الاعمال وهذه بركة لوصح من افضل البركات لو وهبت للكسول عسى ان تحرك شيئًا من خموله وتيقظ في فؤاده عامل النشاط والغيرة وقد اكد (سينكا) لبعض اصحابه في خطاب له انه لم يمر عليه يوم لم يكتب فيه شيئًا او يقرأ شيئًا أو يلخص مؤلفًا وهذا شأن الباحثين الراغبين في التقدم والارتقاء فان من يطلب العلي يجب عليه الجد والكد

ومن طلب العلى من غير كد   أضاع العمر في طلب المحال

ولو علمت مقدار الساعات التي تمر من عمر الكسلان جزافًا لا حدقت ببصرك من شدة الذهول . وجاء في حياة (ليوثرفورد) انه كان رجلا لجده المتواصل يظهر لرئيسه انه دائمًا يصلي ودائمًا يخطب ودائمًا يعلم الدين وكنت في أغلب الاوقات تراه خارجًا من منزل الى غيره يزور المرضى ويواسي الفقراء وكان يعلم في المدارس ويصرف الوقت الطويل مع الطلبة والشبان ليؤهلهم للوظائف السامية كأنه يحرك العالم بيديه

كأنك من كل الانام مركب   فأنت الى كل الانام حبيب

وكان اذا كتب خلته رجلا قد انقطع للكتابة في مكتبته الخصوصية فهكذا هكذا فلتكن الرجال والا فلا ومعلوم انه ليس بأسهل من كتابة المشروعات والاعمال اليومية من حيث المطالعةونحوها ولكن الصعوبة كل الصعوبة في التنفيذ لما يستولى على الانسان من الضجر فلا تتجاوز الكتابة الورق مع انك لو بدأت ومهدت لنفسك سبل الرغبة والتصميم الحقيقي لكنت الفائز لا محالة ولقد كان مما أدهش أوروبا بأسرها وأوقفها حائره مافعله لونيرس فقد أهدي الناس ترجمته مضبوطة للكتاب المقدس كله كتبها بين اسفاره الطويلة وعمله الشاق ولما سئل عن ذلك أجاب قائلا

(نلا دايزسين فرسو) **Nulla dies sine versu**

اعني (اكتب كل يوم شعرا) فكلمة واحدة اوضحت الامر المبهم كله فقد وضع

ذلك الرجل لنفسه قانونًا صارمًا لا يتخطاه وهو عمل شيء ما كل يوم واذكر هنا رجلا اسمه ارميا افرستل لاحظته بنفسي ادق الملاحظة مدة سنة كاملة وهو وسط عائلته فلم ار رجلا أحسن منه تعودًا على اعماله اليومية لم يكن يمضي عليه اليوم الا وقد عمل فوق ما كان ينتظر ولا تمر دقيقة الا والقلم في يده فاذا ألقاه تناول فرشة الاسنان فورًا كأن يديه لم يخلقا الا للعمل ومع ان أوراقه كانت تملأ غرفًا كثيرة اذا ربطت كنت تراها مُرتبة ترتيبًا عجيبًا بدقة فائقة ونظام من الغرابة بمكان حتى كان اذا شاء استحضار ورقه صغيرة منها لا يستغرق الثواني في استحضارها بلا بحث أو تنقيب وشهدالله اني لم اقابل رجلا اكثر منه شغلا يتمم كل عمل في وقته

وسأل المركيز (سبينولا) السير هوراس فير عن أسباب موت اخيه فاجابه لقد قتله الفراغ يا سيدي فقال المركيز وأسفاه هذا داء لو تحكم لقتل قوادنا جميعًا

وديموستين كما هو معلوم نسخ تيوكورايدس ثمان مرات بيده ليمرن نفسه على اساليب هذا الرجل العظيم وطريقة انشائه ومن الامثال المتواترة مثلان صحيحان الاوّل تركي يقول ان المجتهد يعذبه شيطان واحد وأما الكسول فيعذبه ألف والثاني اسبانيولي يقول الناس كلها يجربها الشيطان واما الكسول فهو يجرب الشيطان فليس أعظم من الاجتهاد الذي يقربك من الرفعة ويبعدك عن الشبهة ويصيرك محبوبًا من خلانك مقربًا من الناس قاطبة ويعلو بك الى ذرى المجد عاجلا او آجلا (البقية تأتي)

الداء الاجتماعي

(بحث عن بواعث السكر وأضراره وطرق مقاومته)

لماذا نشرب الخمر

وجه هذا السؤال لمن يسكرون فيوردون لك أسبابًا عديدة اذا بحثت في حقيقتها بحث مدقق ترى أنهم واهمون في ما يعتقدون وان ما يسندونه للخمر من الفوائد

والخواص لا برهان على صحته الا ما قام في نفوسهم وتسلط على أفكارهم من ظواهر فأعليته وتأثير أقوال الذين يجهلون المضار الجسيمة التي هي عاقبة تلك الخواص الظاهرة والفوائد الوهمية وعندنا انه لو تبصر هؤلاء التعساء في أمرهم لا دركوا الحقيقة ونبذوا عادتهم الممقوتة قبل نمو جرثومتها في قلوبهم ولا نضموا تحت علم العقلاء المهذبين الذين لم تمت ضمائرهم فكانوا قدوة لغيرهم من الناشئين

يقولون لك من مدعاآتهم ان الانسان هو الحيوان الوحيد الذي يشتهي معاقرة الخمور وما ذلك الا لانه ذو نفس تشعر بوطأة الاحزان عليها فيحتاج الى ما يزيل تلك الافكار ويستر من أمام بصيرته حقيقة حاله اذا اشتد به الفقر او نكب بمصيبة او آلمت فؤاده حادثة مؤثرة فهو في وسط متاعب الحياة وتقلبات صروف الدهر ومشاق الجهاد في البقاء يتعلق باهداب ما يرى فيه تعزية وتقوية والخمر تنسي الهموم وتجلي الاحزان كما قال الشيخ بدر الدين

وكنت اذا الحوداث دنستني　　　قرعت الى المدامة والنديم
لاغسل بالكؤوس الهم عني　　　لان الخمر صابون الهموم

يتعللون بذلك ويفتخرون لانهم لايعرفون ان وراء هذه الخاصية ان صدقت خسائر فادحة ومتاعب جمة في الجسم والعقل لان الكأس عادة يتلوه مثله والقليل يؤدي الى الكثير وانه متى شبه لهم بان الهموم قد انتفت عن فؤادهم فما ذلك الا لغياب صوابهم والقوة المفكرة فيهم او بعبارة اوضح ان فقد ما يميزهم عن سائر الحيوانية فضلا عن ان المصيبة اذا كانت من فقر وتعاسة حال وشرب الانسان ليعطي لافكاره مجالا فسيحاً في وادي الاوهام والتخيلات لا يلبث بان يرى نفسه بعد افاقته من السكر وقد تولاه الكسل والخمول واصبحت ماليته أقل مما كانت وحالته اسواء مما تركها فيعيد شرب الخمر الى ان يقع في فقر مدقع وتسمم كحولي يؤديان به في النهاية الى المستشفى او السجن او الانتحار كما قال الدكتور (ليجرين)

يزعمون ايضاً بان لا مندوحة للناس من شرب الخمور وما يماثلها و يتخذون الاجماع شبه حجة علينا فيقولون بانه لم ير حتى الآن الا نفر قليل من المتوحشين تأبى نفوسهم شرب المسكرات التي اصبحت لذلك من لزوميات التمدن وضروريات الارتقاء وانتشرت تحت اسماء كثيرة في جميع أنحاء المسكونة وصنعت من الحبوب والثمار وعصير الاشجار وحشائش الارض الى غير ذلك حتى ان الامم القاطنة في الاطراف السحيقة من أسيا الغربية يتخذون من اللبن اذا اختمر مشروباً مسكرا يدعونه بلغتهم (كوميس) واهالي الاوقيانوسيه كما شهد الرحالة (كوك) يشربون نوعاً من الكحول بعد مزجه بالفلفل ليكون حريقا في الطعم بل وان سائر الناس الذين لا يتمكنون من شرب الخمر لاسباب موضعية أو دينية يجدون في ما يشبهها ما يعوض عليهم هذا النقص فالهنود يستعملون الحشيش والصينيون الافيون « ونساء المتمدنين يسكرن من ماء كولونيا اذا لم يستعملن المورفين والكاورال والاثير » كما شهد عليهن العلامة (ليروا)

ولكن تلك الحجة أيضاً ساقطة لا يعتمد عليها لان العقلاء في جميع الامم قد نبذوا تلك السموم واستهجنوها بعد ان وضح لهم ضررها ـ والاجماع ان سلمنا به جدلا كثيرا ما يكون مبنياً على خطأ عمَّ وشاع ثم لا يلبث ان يزول عند البحث والتمحيص كما يعرف المطلعون على التاريخ ولذلك لا يكفي لان يعول عليه لتقرير حقيقة اجتماعية كالتي نحن بصدد الكلام عنها

ويوجد عدا ما تقدم حجة تكاد تكون عامة لدى السكيرين وهي قولهم ان الخمر تفيد كثيراً الذين يشتغلون بالاعمال العقلية أو يحترفون بمهنة متعبة بدنياً لانهم يجدون في تلك المشروبات ما يرجع اليهم ما فقدوه من القوى ويدفئهم خصوصاً اذا كانوا من الفقراء الذين لا تساعدهم ماليتهم على شراء الاصواف والملابس الكثيفة الحارة • ويفرطون في تطبيق ما يرتأون من هذه الوجهة ويقدمون الخمر لابنائهم الصغار لتقويتهم وتدفئتهم كما يفعلون لانفسهم مع انهم بذلك يسيئون الى اولادهم شر ا.اءة وكذا لا افضل

لهم ان لا يلدوهم للاحزان والا تعاب لان النتيجة الوخيمة لما يفعلونه بهم واضحة لاتحتاج لبرهان وما انتظارهم لتدفئة و تقوية الا اعتقاد كذبته الادلة العلمية اذ كل التجارب التي عملت للآن أدت الى عكس ما يتوهمون تماماً وأظهرت ان الكحول يهيج القوة في الظاهر تهيجا سريع الزوال شبهه بعضهم واحسن في التشبيه بما يحدث لحصان يلهث تعباً اذا ضربته بسوط ضربة المته فانه يهيج و يسرع في سيره ثم لا يلبث ان ينهكه الجري فيسقط معييا ذلك لان الخمر بما يحويه من الكحول ينشط الاعضاء لوقت قصير ثم يضعفها بسرعة زائده ولهذا كان عمل الذين يشربون الخمر اقل بكثير من عمل غيرهم كما اثبته الدكتور (جريبو) بعد احصاء كبير

هذا ما نكتفي بايراده لنفي ما ينسب الى الخمر من تقوية الاعضاء وتشديد القوى اما الخاصية الاخرى وهي التدفئة فقد ثبت بما لا ريب فيه الآن ان الخمر تحدث حرارة موضعية في الجسم ثم تخفض الحرارة الطبيعية عن معدلها الاصلي فيزيد الشعور بالبرد ويكثر الاحتياج الى التدفئة وهذا هو السبب الذي يحمل السائحين في الاصقاع الشمالية الذين يخاطرون بانفسهم وسط الثلوج في البرد القارص ان يمتنعوا عن أخذ الخمور معهم كما فعل الرحالة (نامس) في رحلته الاخيرة الى القطب الشمالي

ومن الغريب أيضاً ان الكثيرين يسندون للبيرا وجود خواص مغذية فيها و يدعون بانها مصدر الشفاء من الامراض الباطنية مع ان تلك المواد المغذية في الحقيقه لا تزيد في ما ثمنه ثلاثون فرنكا ونيف من البيرا عما في لحم وخبز ثمنه فرنك ونصف كما بينه العلامة (كور ديليه) اما الشفاء من الامراض فهذا امر لم يقل به الا القليل من الاطباء وان كان اكثرهم يعترف بان ضرر البيرا اقل من غيرها من المشروبات الكحولية .

و يتعدى البعض من البيرا الى باقي الخمور فلا يكتفي بما تقدم ذكره بل يقولون ان من يشرب الخمر وقت الاكل تزداد شهيته للطعام (يفتح نفسه) مع انهم لو تبصروا في الامر لعرفوا ان تلك الخاصية التي يفتخرون بها لو صدق وجودها في الخمر لكانت ضربة كافيه

على مستعمليها وسبباً قويا للعدول عن شربها لان المعدة متى امتلأت يعسر عليها هضم الاكل فتنشاء الامراض القتالة التي تفتك بالنفوس اكثر مما يفعل الطاعون والوباء وغيرها وقد بين ذلك العلامة (لا فونتين) الفرنساوي في قصة خرافيه من امثاله المشهورة وخلاصتها « ان للموت اقام احتفالا باهراً ادعى اليه رؤساء ملكه الواسع ليختار من بينهم صدراً أعظم فتقدم اليه الطاعون والوباءِ والحرب والمجاعة وما اشبه من فواعل الفناءِ فلم يقر رأيه علي واحد منها لان اكثرها متكافل متعادل في الابادة والدمار والمنصب خطير يلزم له من هو كفوّ يفوق عن الاخرين فبينما هو في هذا التردد اذ تقدمت اليه الشراهة فقبلها بكل امتنان واسند اليها ادارة ملكه العظيم » وهذا القول تؤيده الكلمة المشهورة عن النبي « صلعم » « نحن قوم لا نأكل حتى نشبع » وكلمته الثانية « المعدة بيت الداء » فما احرانا ان نتخذ تلك الاقوال انموذجاً نتبعه لنقي نفوسنا شر الامراض والعلل

هذا وليس توهم وجود فوائد في الخمر هو فقط الذي يدعو لانتشارها بين الناس بل هناك اسباب عظيمة اخرى مثل القدوه السئية وحب تقليد العظيم والكبير والميل لمرضاة الاخوان فان الشبان متى جلسوا على مقاعد الحانات والقهاوي العمومية تراهم يسأل بعضهم البعض سؤالا يكاد لا يتغير وهو « تشرب ايه ياسي فلان » فاذا طلب واحد منهم كونياكا او مستكة يخجل الاخر اذا طلب قهوة اوكازوزة لان من عادات الاخوان وواجبات المدنية ان يشرب كل على نخب صاحبه وهذا لا يتم اذا كان المشروب مختلفا لا تجمع بينه علي الاقل وحدة الجنس فكم من مرة مرّ اديب على حانة ورأى صديقا تشرب مسكراً فدعاه اليه وقدم له كأساً وربما أردفه بآخر فلم يقو هذا على رفضه لعلمه بانه اذا لم يقبل ما يعطى اليه يسقط مقامه واعتباره عند صاحبه و باقي (المتمدنين) فلا يجد به عذر ولا يرى مرحمة ولو اقسم يميناً بانه تائب عن شرب الخمر وقد قال شاعر مبيناً تلك الحال وكان قد عدل عن الشراب

ربما من اخ لي مذتحقق توبتي الا تجنبني كأني اجرب

ويا ليت المصيبة مقصورة على هذا الامر فيلبث الانسان ساكنا في داره لا يخرج الى حيث يجد اولئك الاخوان في الحانات والقهاوي ولكن البلية العظمى والداهية الدهماء يوم المحافل والاعياد المفروض فيها على الناس أجمع التزاور لربط عرى الصلات الودية بينهم فان الواحد يدخل الدار مهنئًا فلا يخرج منها الا بعد ان يشرب كأس خمر كأن الفكرة القديمة التي حملت الناس على تسمية الكحول « بماء الحياة **eau de vie** » لم تزل راسخة في النفوس • فاذا مرّ الانسان في يومه على عشر دور للاصدقاء والاقارب وأخذ هنا كأسًا من الكونياك وهناك آخر من الويسكي وفي ثالث من الروم لا يصل داره الا وقد غاب عنه صوابه وضاع رشاده فلا يفقه ما يقول ولا يعي ما يفعل فيندم في صبيحة يومه التالي او يسكت ضميره الذي يوبخه بتعلله ان هذا يوم في السنة فيجب على الانسان ان يفرح ويسر مع اخوانه كأن السرور في عرفه لا يتم الا بشرب الخمر وضرر الجسم والعقل او ربما يعتذر عما فعل انه لا يجسر على خرق نواميس التمدن ودواعي الحضارة لان من يأبى قبول ما يقدم له يوم الاعياد يرمي بالتوحش والهمجية ويصبح احدوثة الجميع في كل مجلس وناد كأنه أتى أمرًا ادا وهذا ما يذكرني بواقعة حدثت لاحد قوّاد الفرنسيس الذي كان يشار اليه بالبنان ويضرب به المثل بين ذويه ومعارفه لحسن آدابه واعتداله وتقواه الزائدة وذلك انه عين مرة قائدًا القسم من الجيش الفرنسي ولما ذهب للقبض على زمام الاعمال احتفى به الجند مرؤسيه احتفاء باهرا! فاقامت له كل فرقة مأدبة فخيمة وبعثت اليه بمندوبيها لدعوته فقبل انالتهم بغيتهم ومر على كل فرقة فسمع خطاب مدح وثناء في حقه وتناول الكأس المقدم له فشرب به على نخب الجند ولكنه ما وصل لاخر الفرق حتى دب شعاع الخمر في رأسه فتلعثم لسانه واصطكت ركبتاه وارتعش بدنه وغاب صوابه حتى سقط على الارض غائبًا عن الادراك فحمله تابعوه على محفة الى داره وتصادف ان رآه من قدم في حقه للحكومة بلاغًا كانت نتيجته ان وبخ القائد واهمل في فرقته بلا ترقٍ حتى مات بعد ان عاش موصومًا بعار لصق به من جهة

لمرضاة قومه ولذلك أرى والقارئ حر مختار في اتباع ما يروم ان الاوفق للانسان في مثل هذه الحالات ان لا يبالي بما يقال في حقه فلا يطاوع سوى ضميره و يقتصر في الاعياد والحفلات ونحوها على ما يقدم له غير الخمور فينجو من اتعاب واوصاب كثيرة ولا يظن بان شربه القليل درع يتقي به سهام الملام من العقلاء لان الكثيرين قد ارادوا الاقتصار مثله على القليل فما لبثوا ان تناولوا الكثير وافرطوا في الاستعمال فسأت عاقبتهم واستفحل الضرر فيهم فلم يقووا على النكوص بعدئذ لان الداء كان قد سرى في دمائهم فافسدها وتأصل في نفوسهم فتملك ارادتهم واضعف تعقلهم وامات احساساتهم فاصبحوا يندفعون وراء شرب المسكر اندفاع السيل المنهمر على الاراضي المنخفضة بل صاروا يفتخرون بالاكثار والافراط كأنه قد بلغهم ما فعله (تريكونجويس) الروماني حتى نال وظيفة القنصليه من الامبراطور (كلوديوس) فتشبهوا به في التفاخر على الاقران وما كانوا في البداية الا من المعتدلين في معاقرة الخمر فزلت قدمهم وسقطوا وهم لا يعون

بل يا ليت افراطهم هذا كان خاصاً بذواتهم فتخف البلوى ولكنهم ينقلون بذور ميلهم لشرب المسكر الى ابنائهم فيشب هؤلاء وفي فطرتهم انصباب لتعاطيه فقد احصى الدكتور (لانسروا) ٨١٣ حادثة تسمم كحولي فوجد ١٧٤ منها ناتجة من الوراثة عن الابوين او احدهما وبحث الدكتور (لوجرين) احوال ٢١٥ عائلة سكير فوجد منها ١٠٨ قد نقل السكر فيها بالتوارث ويسمى هذا الميل الفطري لشرب الخمر بكلمة Dipsomanie وهذا من الاسباب القويه الحاملة بعض الناس على شرب الخمر وهم مضطرون لا ذنب لهم سوى كونهم ولدوا من اناس لا يراعون واجباتهم ويهتمون بابنائهم والله بصير عليم

مضار الخمور

نترك الوصف التشريحي الفسيولوجي لما ينتاب شربي الخمر من العلل والاسقام

لحضرات الاطباء الافاضل لان ذلك التبيان يحتاج لخبرة طويلة وعلم واسع بقواعد الطب ونكتفي هنا بان نقول ان كل تلك العوارض التي تلحق السكيرين ترجع الى أصول معلومة وهي بلاهة فعته فجنون من الوجهة العقلية واضطراب اعصاب واصابة في الاعضاء الرئيسية الباطنية كالرئة والكبد ثم اعتلال وسقم طويل يعقبه موت وسط الآلام والعذاب وضف على هذا استعداد السكيرين لقبول الامراض فيموتون مما يشفى به غيرهم من اصحاء البدن بسهولة فقد شوهد ان من كل ١٠٠ سكير يصابون بالكوليرا لا يشفى سوى عشرة مقابل ٨٠ من غيرهم وجاء في مجلة الاعتدال الفرنساوية سنة ١٨٩٨ (ان في مدينة خزان الروسيه تزيد نسبة من يموتون من سكانها الروس المسيحيين عن التتر المسلمين بمقدار ٣٢ في الماية مع ان احوال المعيشة والاحتياطات الصحية متعادلة عند الفريقين ولكن الروس يشربون الخمر والتتر يحرمونه) واتباعا لهذا المبدأ تسمح شركات الضمانة على الحياة للذين لا يشربون الخمر بدفع مبلغ سنوي يقل عما يدفعه الاخرون بنحو ٢٥ في المائة تقريباً

الا ان الفناء العاجل او المرض الجسدي الذى يقعد الانسان عن العمل ويؤدى به الى القبر اسوة غيره من الادميين ليس بالشيء العظيم اذا قورن بفقدان مدارك العقل وضياع القوى التي تميز الانسان عن سائر الجنس الحيواني فلقد ثبت منذ عهد طويل ان الافراط في شرب الخمر يسبب اختلالا في طبقات الدماغ ولو انه لا يظهر بدرجة واحدة في جميع الناس لان منهم من يضعف فيه القوى العاقلة حتى لا يصبح صالحاً لا تيان عمل ما ولكن جنونه يكون هادئاً فلا يؤذي احداً ولا يعتدي على احد ومنهم من تظهر نتائج الاختلال المخي فيه باعمال عنيفة ويكون جنونهم مرضاً حاداً منقطعاً يدعوه الاطباء باسم Delirivm Tremens لانه يصحبه عادة حمى وهذيان واهتزاز تشنجي في الاعصاب

نعم ليس من ينكر ان المسكر غير الوحيد في احداث العته والجنون الا ان المحقق

من الاحصائيات انه السبب في اكثر حوادثه ففى قسم (السين) بفرنسا يبلغ عدد المعتوهين لداعي شرب الخمور ٣٨ في الماية من مجموع الرجال في المستشفيات و١٢ في الماية من مجموع النساء فيها كما حققه البروفسور (ليبوف) في مجلة العالم الطبي سنة ١٨٩٩ ويو يد ذلك أن زيادة الكحول بفرنسا أدت الى زيادة المجانين بنسبة واحدة تقريبا ففى سنة ١٨٧٢ كان عدد المجانين في باريز ٣٠٨٤ فاصبحوا سنة ١٨٨٨ ٤٤٤٩ اعني ثلث ما كانوا ومن الاول ٣٠٠ من السكيرين ومن الاخرين ٨٥٠ وهذا على ما نظن اعظم برهان يبين لنا عظم الضرر الذي يلحق شربي الخمر في عقولهم التي هى أفضل ما أنعم الله به على بني الانسان

وكما ان بين شرب الخمر والعته ارتباطًا كبيراً توجد علاقة كبرى بينه وبين الجريمة فكم من مرة ارتكبت جرائم تقشعر لها الابدان وتنفر منها الآداب بينما كان المجرم تحت سلطة الخمر لا يدري ما يفعل ولا يدرك سوء مغبة فعله وكم قرأنا في صحف الاخبار ان رجلا قتل زوجته وابا قذف بولده فاماته واخًا ذبح أخاه وما كان الباعث سوى تأثير الكحول وتهييجه للدماغ وقد قرر العالم الجنائي (لمبوروزو) ان نسبة الجرائم المتسببة عن السكر الى مجموعها ٦٠ في الماية في امريكا و ٢٥ في الماية في بلجيكا و٥٠ في الماية في فرنسا واحصى مدير سجن (بلاجيه) بفرنسا المسجونين عنده فوجد عددهم ٢٩٢٢ منهم ٢١٠٩ قد تسمموا بالكحول الذي افقدهم صوابهم وجعلهم كالحيوانات الغير مسئولة عما تقترف من الآثام والجرائم وكفى بالمبدأ الجنائي بعدم معاقبة فاعل الجريمة حال سكره سكرا تامًا و بمعاقبته بالتخفيف اذا كان سكره قليلا دليلا كافيًا على اعتبار الخمر مفقدة للعقل مضيعة للاختيار معدمة للرضاء

وبجانب هؤلاء الذين يرتكبون المنكر ويقومون بشر الاعمال توجد فئة من السكيرين تؤثر الانتحار والموت للتخلص من عذاب مستمر ودسيبسيا متسلطة على

نفوسهم فكثيرا ماتقرأ في صحف الاخبار عن اناس انتحروا وكانوا من المدمنين على شرب الخمور وقد ظهر من الاحصائيات التي اجريت لهذا الصدد من الذين دخلوا مستشفيات اقليم (السين) بفرنسا سنة ١٨٧٠ بلغوا ٣٧٧ من السكيرين حاول الانتحار ٢٨ منهم و٦٤ سكيرة منهن ٩ حاولن قتل انفسهن وفي انكلترا كان متوسط ما يستهلك سنويا من الكحول ٨و٤ لتر لكل نفس وكانت حوادث الانتحار المنسوبة للكحول من ٣٠ الى ٤٠ في المائة بالنسبة للحوادث كلها وفي سنة ١٨٨٢ زاد متوسط استعمال الكحول الى ٤٦و٥ لتر فزادت نسبة الانتحار المنسوبة الى المسكر حتي أصبحت ٥٠ في المائة. وفي اسوج كان متوسط ما يستعمله الواحد بين سنة ١٨٢١ وسنة ١٨٥٥ هو ٢٥ لترا من الكحول وحوادث الانتحار تختلف بين ٥٠ و ٦٠ فنقصت بين سنة ١٨٧٨ وسنة ١٧٨٩ الى ٦ لترات ونقصت بنسبتها حوادث الانتحار الى ٢٠

واكثر هذه الحوادث قد سبقت بوقوع المنتحر في فقر مدقع وانا لا نحتاج لان نبرهن للقراء بان العامل الذي يتناول كل يوم بضع كاسات من الخمر يحول جزءاً مما ربحه بكده وعرق جبينه الى غير مجراه الاصلي الحقيقي وفي هذا من الخسارة الكبرى والضرر البليغ عليه وعلى عائلته ما نكتفي بالاشارة اليه لوضوحه عند حضرات القراء الكرام فكم من مرة سمعنا بان رجلا نشيطاً في عمله مقتصداً في ما يصرف بدأ يتناول كأس الخمر تشبهاً بالاخوان فاصبح مع الزمن وقد تأصلت فيه تلك العادة السيئة وتسمم دمه من أنواع الكحول التى تعاطاها فقل خيره وعدم نفعه واصبحت داره مرتعاً لمكروبات الفساد وعوامل الفقر والجرائم لان الاوّل اقبح مرشد وشر موعز يحمل الانسان على الرضوخ للعيش متسولاً طول حياته أو يسهل له طرق الاحتراف بدنيء الاعمال ويفتح له باب ارتكاب المنكر فيلجه هذا غير هياب ولا وجل وقد لوحظ بان الخمور من اعظم بواعث الاضراب عن العمل أو الاعتصاب الذي سرى لبلادنا الشرقية اسوة غيره من سيئات الاجانب اذ بتأثير الكحول تهيج الافكار وتكثر الطلبات ويحمل المعتصبون على اقتراف

شر الجرائم كسفك الدماء ونهب المخازن وغير ذلك من المساوي كما يعلم القارئون لصحف الغرب كل حين (البقية تأتي) « ناشد حنا »

القسم العلمي

﴿ انباء علمية ومتفرقات مختلفة (١ ﴾

﴿ اجسام الجبابرة ﴾ عثر بعض الباحثين في بقعة من ولاية نيومكسيكو الكائنة في جنوب الولايات المتحدة بين المكسيك وتكساس وكولوراد وواريزونا على هيكل بشري (مجموع عظام لم تتفرق) يبلغ طوله اثنى عشر قدماً وطول ساعده وحده اربعة أقدام وله فك باق على حالته اصغر اسنانه يبلغ مقدار اعظم ثمرة من الشاهبلوط (الكستنا) ودورة صدره لا تنقص عن مساحة سبعة أقدام . وعرف بعدئذ ان ذلك المكان بأجمعه كان مقبره لقوم من الجبابرة تذكرهم بعض الاقاصيص الاسبانية القديمه وخرافات الهنود الاقدمين الذين لا يزال عدد قليل منهم يأوى الى تلك الاماكن تشير في الحكايات الوهمية الى ان أمة عظيمة الاجسام قد عاشت هنالك منذ ازمنة بعيدة ولهذا تألفت لجنة من اكابر علماء الارض والباحثين في طبقاتها لتجوب تلك الانحاء وتكشف للعالم آثارا جديده

﴿ البيوت المتحركة ﴾ امريكا مصدر كل غريب وقد عرفت بذلك فلا عجب اذا جاءنا منها اختراع احد مهندسيها بيتاً يدور حول نفسه وينتقل من مكان الى آخر حسب الارادة بواسطة آلة موضوعة فيه على طريقة مخصوصة ونظام معلوم . ولا يظن القارئ انا نسخر ونريد بالبيت هنا غرفه مكعبة يسهل نقلها او ادارتها بالحيوان فضلا عن البخار لان البيت الذي اخترعه حضرة المهندس الامريكي ونال من اجله شهادة

(١) منها ما هو معرب ومنقول عن المجلات العلمية الخطير :

الاختراع حتى لا يقلده فيه المقلدون شأنهم في كل ما تروج سوقه منزل كبير ذو طبقات عديدة يحتوي على جميع ما تحتويه البيوت الموافقة لحاجات الانسان وليست الحركه فيه انتقالا فقط من مكان الى مكان بل دورانًا أيضًا حول محور مثبت في الارض بحيث يمكن تغيير اوضاعه بالنسبة للشمس على حسب فصول السنة وبمقتضى ما تستدعيه القواعد الصحيه

﴿ ميكروب المداد ﴾ من العادات الرديئة التي اعتاد الاطفال عليها وضع أطراف الاقلام في افواههم وفيها المداد او لحس ما يكون قد انسكب منه على الورق أو تلوثت به اصابعهم وهي عادة خطيرة العواقب اذ قد ثبت بالكشف الميكروسكوبي ان مداد الحبر قد يأوى اليه جراثيم الامراض القتالة المعدية كالسل الرئوي وغيره وقد حقنت الفيران والكوباي (خنزير الهند) بنقط من المداد فلحق بها ضرر خطير منه ولم تمض ثلاثة أيام عليها حتى ماتت فليلتفت الاساتذة الى منع التلامذة من امتصاص المداد من اقلامهم اذا كانوا لا يريدون ان يشاطروا الفيران والكوباي حظها الاسود

حفظ الفواكه

للقطن خاصية حفظ الاثمار بعد القطف وإيقاف نضجها وللوصول الى ذلك توضع الكمثرى او التفاح او العنب في عاب من الصفيح بين طبقتين من القطن الناعم ثم تقفل قفلا محكمًا وتترك في موضع رطب فتبقى الاثمار عدة اسابيع سليمة من التعفن

﴿ فائده كيماوية ﴾ اذا وضعت قطعة من البوتاسا في اناء مملوء من الماء تراها قد احيطت في الحال بلهيب ازرق لان المعدن يحل الماء فيتحد باكسيجينه ويترك الهيدروجين الذي يشتعل ويمكن تطبيق هذا القانون الكيماوي في عمل عادي فانك اذا وضعت قطعة من البوتاسيوم على فتيلة مصباح ثم قربت منها قطعة ثلج او نقطة ماء ترى اللهيب الحاصل من احتراق الهيدروجين يشعل المصباح في الحال . واذا وضعت في اناء قطعه صغيرة من الفسفور و بضع بلورات من كلورات البوتاسا ثم اوصلت الى المركب ثلاثة

نقط من الحمض الكبريتيك بواسطة قمع او انبوبة زجاجية فتشاهد في الحال اللهيب ينبعث في الماء

﴿ بارومتر بسيط ﴾ اذا اردت ان يكون عندك مقياس تعرف منه اعتدال الطقس وتغيره ضع دودة من الذي يستعمل لمص دم المريض في اناء زجاجي يحوي نصف لتر من الماء وغطي الاناء بقطعة نسيج متباعدة اليافه فيكون لك ما تريد ٠

فانك اذا رأيت الدوده ملتفة على نفسها في اسفل الاناء لا تتحرك فهذا دليل على لصحو ٠ واذا رأيتها صاعدة فوق الماء فانتظر حدوث امطار واذا شاهدتها تسير بعنف بين اركان الاناء فاعلم ان الرياح الشديدة ستحدث عن قريب ٠

باب التقريظ والانتقاد

﴿ هدايا وتقاريظ ﴾

اهديت الينا في خلال هذا الشهر عدة كتب ومؤلفات مثل رواية صلاح الدين الايوبي التى عنى بطبعها حضرة الاديب جرانت افندي اسكندر وشهرتها في عالم البلاغة وحسن الانسجام تكفينا موؤنة الاطناب في تقريظها ورواية «أ ريد ان اتزوج» تعريب حضرة الكاتب المتفنن محرر الغزالة وفهرست كتاب مرشد التاجر والدليل في مسك الدفاتر تأليف حضرة يوسف افندي كيال والجزء الاوّل من كتاب الحساب تأليف حضرة الفاضل عوض افندي خليل ناظر وموءسس مدرسة الاجتهاد الوطنية وهو خير كتاب وضع في هذا الباب لتلامذة المدارس الابتدائية على احسن نسق وافضل نمط وكتاب نزهة الالباب في مطالعة الكتاب لجمعية الاتحاد بطنطا ركل هـذه الكتب سهلة المأخذ رقيقة الانسجام فنثني على مولفيها الكرام ونسأل لهم دوام النجاح والفلاح في خدمة العلم والادب

﴿ دليل الطلاب ﴾ اشتهر ادباء الاسيوطيين بالسبق في كل مأثرة أدبية وعمل نافع ونحن نضم اليوم الى نفحات جدهم مجلة أدبية علمية مدرسية شهرية اصدرها حضرة الاديب رزق الله افندي جودا من مدرسى مدرسة أسيوط الامريكانيه وردنا العدد الاوّل منها حافلا بالمقالات المفيدة فنتمنى لها مزيد الاقبال ونحث الطلاب على مطالعتها

﴿ الميامر ﴾ اتحفنا كل من حضرتي الاديبين الفاضلين صليب افندي جبران وجرجي افندي جرجس بنسخة من كتاب التعازي الروحية في الميامر السيدية وهو يتضمن شيئًا كثيرًا من اخبار الشهداء وانباء الملائكة على نسق روايات لا يمل المطالع من قرأتها ولا تخلو من استنباط فائدة أدبية منها والكتاب كبير الحجم جميل الطبع رخيص الثمن فنثني على طابعيه ونحث ابناء الامة على اقتنائه

﴿ مشروع وطني ﴾ ليس احب الينا وأحسن وقعًا عندنا من ان نرى شبان الوطن الادباء ينفضون عنهم غبار الكسل والخمول ويقدمون على الاعمال الحرة والمشروعات الوطنية و يسرنا ان نزف الى قراء المفتاح الكرام ان حضرتي الاديبين فرج افندى عبده ومراد افندي صليب اقدما على انشاء ورشة كبيرة للنجارة من كل نوع ودلائل حالها تبشر بحسن استقبالها وقد زرناها فاعجبنا بحسن ترتيبها ودقه اشغالها فنثني على مؤسسيها ونطلب الى كل ذى حمية وطنية وغيرة ملية ان يقبل عليها ويأخذ بناصرها

(حتفال) دعي منشئ هذه المجلة في الاسبوع الماضي لالقاء خطبة وطنية في احتفال مدرسة والدة محمد علي باشا المشمولة بانظار صاحبة الدولة الاميرة زبيده هانم افندي وقد حضر الحفلة كثيرون من العلماء والفضلاء وفي مقدمتهم قاضي الديار المصرية والشيخ محمد بخيت والشيخ حمزه فتح الله وغيرهم وقد اعجب الحاضرون

بنجابة الطلبة واثنوا على المعلمين كما سروا من موضوع الخطبة

﴿ تأخير المجلة ﴾ تأخر صدور هذا العدد من المفتاح لسبب انتقال ادارته الى مطبعة الوطن فنلتمس من المشتركين قبول عذرنا و نعدهم منذ الآن باصداره قبل حلول ميعاده وخير الناس من عذر

القسم الفكاهي

فتاة العصر

كان في تلك السنين الغابرة — من سراة القوم في ذي الحاضرة
في ربيع العمر بكر اشرقت — من محياها شموس باهرة
ذات قدّ مخجل غصن النقا — ولها جيد الظباء النافرة
وعلى خديها ورد قد نما — فحمته بسيوف باترة
خصها الله بمال وافر — ومعان فاتنات ساحرة
انما الاعجاب امسى عيبها — والي الوهمي كانت ناظرة
جاءها يوماً أديب خاطباً — عمره يا صاح ضعف العاشرة
ذو علوم وفنون روضت — منه اخلاقاً ونفساً طاهرة
نظرت شذراً اليه مذ رأت — حركات القصف فيه قاصرة
صرفته انما في سرها — بقيت صاح عليه حاسرة
كثرت من بعد ذا طلابها — وهم مثل النجوم الزاهرة
جلوا عند الغير لكن عندها — كلهم امسوا عيوباً ظاهرة

ذا طويل ذا قصير ذا فتى نحوه لست بميل شاعرة
ذا غني انما الشيب علا رأسه والضعف حل الباصرة
ذا بليد ذا ثقيل ذا غبي آه يا رباه اني حائرة
لست أرضى لي بعلا غير من جمعت فيه الصفات النادرة
وكذا الايام كانت تنقضي وهي بالآمال ترقى الآخرة
فاذا يوم وقد هبت ضحى والى المرآة راحت ناظرة
سقطت مذعورة مما رأت فوق كرسي قواها خائرة
صفقت لما رأت قد ذبلت زهرة الحسن وكانت ناضرة
خيلاء الجهل فيها خمدت فأفاقت من كراها خاسرة
راسلت عشاقها لكنها ما رأت الا قلوباً فاترة
اعرضوا عنها كما قد اعرضت دولة الحسن وكانت قاهرة
انما الرنان مغناطيسه جاذب حتى القلوب النافرة
فاشترت بعلا ولكن عنده آمة صارت وكانت آمرة
لم تذق من بعد ذا طيب الهنا ومشت مقهورة للآخرة

***

ذي (فتاة العصر) قد صورتها لفتاة في ضلال سائرة
فهي مرآة ترى البنت بها بعد عجب ما اليه صائرة
وفتاة العصر ليست وحدها في سماء الوهم اضحت طائرة
بل لها أيضاً شبيه احمق مثلها دارت عليه الدائرة
ذا فتى العصر فهل من راسم صورة في الشعر منه ظاهرة

(محترق)



جلالة القيصر نقولا امبراطور الروسيا